

الديمقراطية والطريق إلى تحرر المرأة العراقية

د. ثريا البوزنجي



وجودها واستمرارها من جهة وثقافة المرأة السياسية المتطورة من جهة أخرى، ذلك ان لب هذه الثقافة سيكون حتما مبدأ التحرر، وهو ما ترفضه تلك القوى والسلطات، اذن .. مرة أخرى يعود العيب الى كاهل المرأة ذاتها، لتكافح من اجل فتح المزيد من النوافذ والابواب او في الاقل الكوى للتنفس والرؤية الاوسع والاطلال على فضاءات الوعي والثقافة الانسانية وهي تغذ السير متقدمة مترسخة و متجددة، متغيرة بتعجيل لا يتوانى عنه تعجيلها الذاتي، فالمرأة عليها ان تعرف إنه لا نصير لها الا ذاتها.

التراكم الكمي، عبر تنمية هذا التراكم من خلال رسم وتنفيذ برامج وحلقات تطويرية متصاعدة ومتنامية، باتجاه محدد، تكون السلطة الحاكمة، او القوة المهيمنة، سلطويا واجتماعيا، هي التي تقوده وتسعى اليه، ورغبتها الاكيدة من ورائه هي ترسيخ سلطتها وديمومتها، ولم تشهد المرأة العراقية، عبر تاريخها الطويل بعد انهيار المجتمع الامومي، سلطة او قوة وضعت في حساباتها وبرامجها، فصال رداء المرأة الثقافي وتحسينه او تحديثه وتطويره، لمقتضيات مصلحتها، فهي تجد تناقضا جوهريا جذريا بين

الظروف، مع انها تعد من البحر النسائي نماذج متمكنة، وقيادية قادرة و لكنها تبقى نماذج فردية، لا تلبى الحاجة الى وعي نسائي عام وشامل، اما في الانظمة الديمقراطية، فالمرأة العراقية لم تجرب حتى هذه اللحظة وضعا اجتماعيا ديمقراطيا على الارض، وفي ظل نظام ديمقراطي مستقر ومتنام، لذا فان الحديث عن تجربة المرأة في ظل الانظمة والمجتمعات الديمقراطية يمكن ان يدور ولكن ليس عن المرأة العراقية .

٢- اما التغيير الموجه، فيعتمد في اكثر الاحوال (تعدادا) على حاصل

والاحساس بالقدره على النقد، وتنشيط العمل الاجتماعي والادباع، كل ذلك يفترض ان يعزز ثقة المواطن بالنفس، الامر الذي ينعكس ايجابيا على فعالياته الثقافية، اما بالنسبة للمرأة، فهي في ظل الانظمة الشمولية (صفر على الشمال) كما يقال، مع انها في حسابات الحركات والقوى السياسية التقدمية المعارضة، عنصر فاعل ورقم محترم او لازم، لكن عمل هذه القوى في ظل الانظمة الشمولية، دائما يكون في الانفاق او تحت الارض او في الظلمة، وبذلك فان تأثيرها الاجتماعي والثقافي يبقى محدودا في كل

التخصصية والاستعداد للوقوف بوجه السلطة، وعند هذه النقطة فقط يلتفت الرجل الى المرأة طلبا للعلن، وقد يفاجأ بعجزها وكأنه نسي انه السبب، وفي كل الاحوال والاطوار التي ذكرناها مؤشرات ومناخات وعناصر التغيير الثقافي، تقف المرأة في الزاوية المظلمة، مستعبدة قسرا بالموانع الاجتماعية السلوكية المترسبة في اللاوعي الجمعي، برغم الانعقاد الظاهري للفلسفة المادية في المجتمعات التي تبرمج تغييراتها على وفق جدليتها، او التوافق المبذني، مع الطروحات الليبرالية ومناخ الرأسمالية في المجتمعات الليبرالية، التي تجد فرصتها في استخلاص المزيد من الارباح، باستغلال المزيد من الايدي العاملة، وبالتالي فان علاقات الانتاج فيها تقترض نوعا من التحرر والانعتاق النسائي، ومن ثم الفهم والتدرج الى الاعلى بالمستوى الثقافي، ومنه المستوى العربي المتقدم في ميدان الثقافة السياسية.

ب- تغير النظام السياسي، من المؤكد ان طبيعة نظام الحكم، لها تأثير واضح على ثقافة الفرد في ذلك النظام، ففي الانظمة الشمولية، يكون الفرد في مواجهة السلطة، او كارهها لها، او عديم الاهتمام باجرائاتها وسياساتها خائفا منها، اما في الانظمة الديمقراطية فان تعدد الاتجاهات ووجود المعارضة

والاخرين في حالات منها: ١- التحول في البنية الاقتصادية والاجتماعية ويندرج في هذا الباب تلك التغييرات في القيم والعلاقات نتيجة للتطورات الاقتصادية والاجتماعية، فتتبدل ثقافة المجتمع، طبعا لتغير المفاهيم والعلاقات الانتاجية التي تميز مراحل التطور، فالشيوعية مثلا حسب النظرية الماركسية تقول بخمس مراحل لتطور المجتمع - المشاعية، الرق، الاقطاع، الرأسمالية، الشيوعية - وكل مرحلة تفرض اطارا ثقافيا معيننا ينسجم والتغيير الجديد في العلاقات الانتاجية، وهذا النسق في النظرة الى التطور والتغييرات حسب هذا التقسيم، يحتاج الى شروح طويلة ومتعددة لسنا بصدها، لكننا نقول عموما، ان تحول العلاقات الاقتصادية والطبقية، يؤدي بالضرورة الى تحول في الثقافة السياسية للأفراد، وعلى سبيل المثال - تحول ولاء الفرد في اوربيا من الاقطاع الى الدولة القومية في النظام الرأسمالي - كما ان الفرد في المجتمع الزراعي تختلف توجهاته عنها في المجتمع الصناعي، ففي الجتمع الزراعي تكون ثقافة الفرد محلية واكثر خضوعا للسلطة الحاكمة، جاهلا الكثير عن متغيرات الطبيعة، بينما يكون الفرد في المجتمع الصناعي اكثر انفتاحا على العالم الخارجي، ويؤمن بالكفاءات

فما قولك بالمرأة التي يجري كل شيء ضدها ؟ والمبدأ المستقر في الوعي العام، هو ان الثقافة السياسية، هي بعض الموروثات المعرفية التي تنتقل ميكانيكيا من جيل الى اخر، لذا لابد من ان ننبه، الى ان هناك عوامل ومؤثرات تقضي الى التغيير في جميع مرافق الحياة كافة، ومنها الثقافة السياسية، وقد يحدث هذا التغيير اما بصورة غير مبرمجة او غير مخطط لها، نتيجة لتحول في البنية الاقتصادية والاجتماعية، او تبدل النظام السياسي، او ظهور دين جديد او قيام حرب او ثورة، وعلى هذا يمكن القول بوجود شكلين او نمطين للتغيير الثقافي السياسي، احدهما غير مبرمج والاخر مبرمج، وفي هذين الشكلين، يتم جوهريا استبعاد المرأة، والاستنكاف من التوجه اليها، واقرار التوجهات الاستبدادية المستنسخة تعليماتها واعرافها عن المجتمعات القبلية الابوية الذكورية والمرأة العراقية لا تشذ عن هذه القاعدة ان لم تكن اكثر انسحاقا ببعادلاتها بسبب شدة التصاق المجتمع العراقي بموروثاته الاستبدادية.

اما تفاصيل الشكليات المذكورين التي تؤثر في القيم والاتجاهات والسلوكيات السياسية للأفراد، فيمكن اجمالها كما يأتي: ١- التغيير الثقافي غير الموجه، وفي هذا الجانب تغيير الموجهات السياسية وقيم الافراد نحو الكون

ببرصا صنتين تبعثرت أحلامه

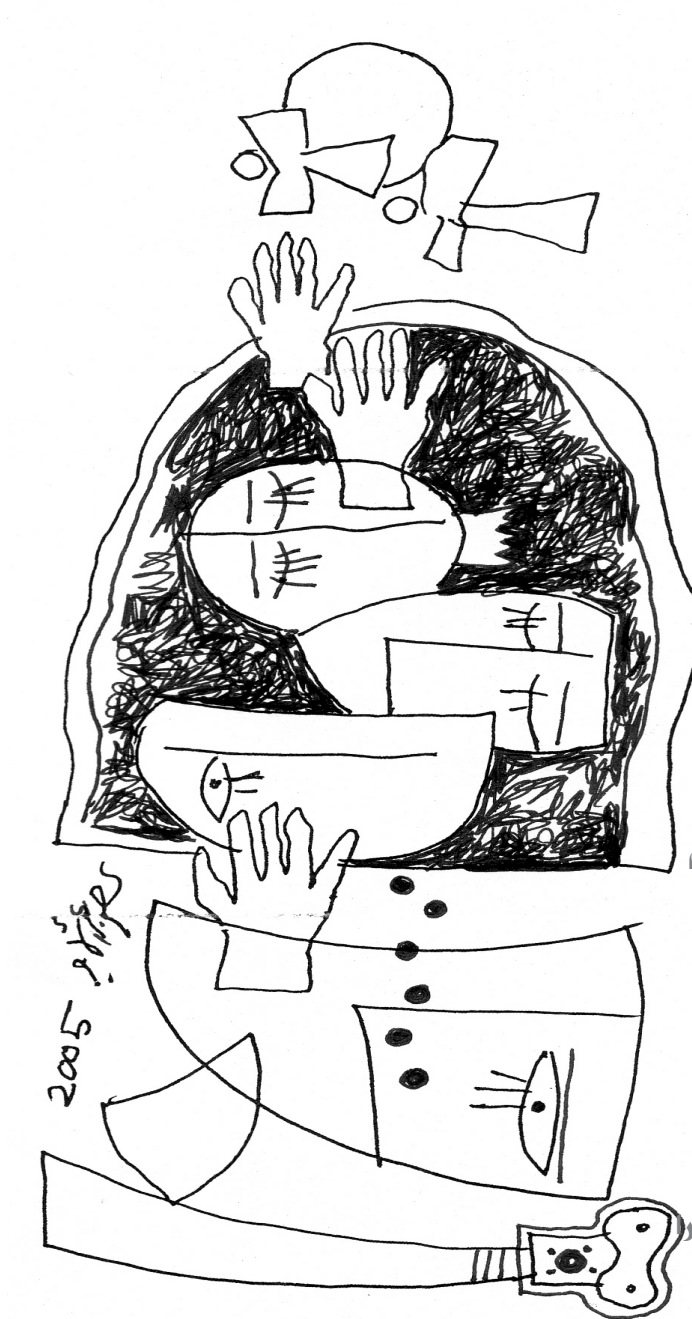
بغداد / نبيل وادي

بالقرب من كفه التي تراخت عنه بينما صحن الاكل مازالا على حالهما . وتشاء الاقدار ان تكون تلك الايام مناسبة عيد الفطر المبارك ولوجود عائلته في سوريا لم يفتن احد الى غيابه الا بعد اسبوع عندما شم الاطفال رائحة كريمة تصدر من شباك احد البيوت وعندها كسروا الباب ووجدوا حنّته قد تسفخت وانتفخت بسبب الحرارة في داخل البيت .

هذه احدي القصص المؤلة الحزينة التي افرزها المشهد الامني الحالي في حياة تدريسي كان حلمه الاول والاخير اعالة عائلة بسيطة وسكن مناسب وامان . لكن العنف ابى الا ان يحرمه هذه الاحلام البسيطة .

ظما السنين

فاضل صلاب القريشي



قولها فديتك بعد صبح نير
فعدا دجلة من انفساسها
منموجا متأترا
وعلى ضفافها قمراً
واذا قليجا تفادها ولكن
ما جركا ؟
فاهتز من ذهب على اعناقها
حتما اذاب شذاه فيك السكوا
واطلك رمش الضوء
من عينيك
واندام من شوق اذاب
فاجبصوا
وامتد للحدباء ...
من السننا ... لهب
نيرانه تكويني
تهيم على الورود
يسقيها دفق شراييني
فاذاب من اشواقه
غصنا جملة اخضرا
نثر الرير لها ثوبا ابيض
كالتلج لا صب برعما متحورا
مزج الصباغ مع الندى
مسكا فخالط عنبرا
اقسمت انك اذا جرت مواجعي
اثويت في نوفي واغتباطي
الكوترا
غنت لي الاهوار حتها لا مست
اذني
شجوا له هذا الفؤاد تفطرا
وشدوت حتها بل اغنييني الندا
كالورد انعشه الصباغ ...
وما درى
من حبك عرفت انك والهوى
للقلب تخاوين الطريف الاقص
اواه حبك في بغداد
تاطرا
متألقا متألقا متعمرنا

الصبية الذين ينظفون الطرقات والشوارع ليلا ويعد التي واللتيا تمكن من جمع مبلغ من المال تحدي به قطار الزواج كي لا يفوته، وتزوج زميلته في الكلية ، وبدا وكان الزواج فتح له آفاقا للرزق، فتحسن راتبه وحصل على بيت بسيط جمع فيه عائلته الصغيرة وحدث تطور درامي لوضعه المادي اثر تعديل رواتب التدريسيين الجامعيين بعد سقوط النظام عندما ارتفع راتبه الى مايربو على المليون دينار فاشترى سيارة حديثة وجدد اثاث البيت . ولكن ما كل مايهوى المرء يدركه ...إذ سرعان ماانشبت الصراعات العيشية وبدا يدرك انه ربما وضع في لائحة قوائم المستشفيات وكانت الدائرة تضيق شيئا فشيئا مع استشهاده عدد من

وحين عاد أواسط التسعينيات الى العراق استقبلته بحفاوة سنوات القحط والجفاف ، وخضت تالفه مع الأيام . كنت أراه يلقي محاضراته كالموم مغناطيسيا وقد بلغت سنوات الحصار العجاف ، التي كرت عليه بكل ضغلتها وجبروتها كغيره من أساتذة الجامعة حاول أن يكسر حاجز اليأس والإحباط الذي تشرف فيه ولكنه لم يستطع جمع مبلغ (٤٠٠) دينار ضريبة (الكرامة) كما كان يحلو لبعضنا من يسميها للخروج من العراق بحثا عن متنفس آخر وحياة أخرى . لم يكن راتبه يتجاوز الثمانية آلاف دينار في كل الأحوال... عمل في أكثر من مكان في شركات للبلاستيك ومسؤولا ليليا عن عدد من



شركة مع بعض الاصدقاء . كنت اذهب معهم في تحضير التجهيزات وعند اختيار غرفة النوم طلبوا مني ان اقوم باختيارها لانهم مترددون في اختيارها لان الاثاث كله جميل . تم اختيار الغرفة قال محمد كم ذوقك جميل يا سها وكنت اتجول معهم واسمع غزلهما وهمسهما والخبرة جعلتني افقد صوابي طلبت العودة الى البيت .

بعد ان قلت اني متعبة والصداع اصابني عدنا الى البيت ودعتهما وعدت ابكي بشدة وقررت ان انتقم منهما الاثنين ولن اتركه كم تمنيت ان اكون معه بقية حياتي.

تزوجت نادية وكانت سعيدة وانا مرضت وسافرا خارج العراق لقضاء شهر العسل وكان شهر الم قضيتة انتظر ان يعودا وفي احد الايام سمعت صوت السيارة خرجت مسرعة للسلام عليهما ودخلنا

احبيته كثيرا وتمتني ان اكون زوجته حتى لا افقد اغلى انسانة واقرّب صديقة منذ الطفولة كنا دوما معا ولكن القدر شاء ان يحطم مشاعري لتتحول من حب الى غيرة دمرت حياتي وحياة صديقتي.

احبته منذ المرحلة الاولى للدراسة الجامعية وكنا نحن الثلاثة لا نفترق وكانت صدمتي عندما طلب محمد ان اساعده لخطة نادية؟

وسالني هل هي تحبه ورجاني ان اقول له ان كانت مرتبطة أم لا فاجبته كلا فسالني ما سبب صمكت الطويل قلت له لا تأخذ في بالك . بعد ذلك تكلمت مع نادية بان محمد يريد الزواج منها وكانت نادية البنت الوحيدة لاهلها وعند زواجها يجب ان تسكن عندهم في بيت صغير بناه والدها وكان محمد لا يعرف بهذا الامر.. تمت الموافقة لانه شاب خلوق ومتمكن ماديا لديه

الغيرة أفقدتها مستقبلها

بغداد / ايناس طاروق

البيت معاً وعند ذهاب نادية الى الغرفة قبلت محمد ووضعت يدي على يده وقلت له حمدا لله على السلامة كنت اتمنى ان يبادلني نفس المشاعر وهنا دخلت نادية وقالت ما هذا الصمت احمر وجهي من الخجل كنت خائفة ان تكون قد راقتي . ولكنها لم تشك يوما وطلبت ان اكون معهم في الليل للعشاء في بيت العائلة . ارتديت اجمل ما عندي من ملابس وذهبت وانا حريصة على ان ابدأ الانتقام جلست في مكان قريب منه وقدمت له الطعام بيدي مع نظرات تحمل في طياتها الحب والغزل وقلت له عيناك تحملان معاني كثيرة من كلمات تجعل الفتاة لا تقاوم امامها . قال محمد ما بك سها هل تنفزين يعني؟ احبته نعم . وهنا قالت نادية ماذا تتكلمان قلت لها عنك وعن الدراسة هل تذهبين غدا قالت انا متعبة من السفرو اريد ان ارتاح . هنا فرحت كثيرا وعدت الى البيت ويدات ارقص حتى تعبت ولم اتم كنت انتظر الصباح للذهاب مع محمد الى الجامعة . وفي الصباح جاء محمد بسيارته وجلست في المقعد الامامي وفي الطريق قلت له محمد لا اريد الذهاب اليوم قال لماذا قلت له محمد تتزوجني قال: سها ماذا حصل لك انا متزوج من نادية ولم يرض شهران على زواجنا قلت لن تعلم قال لماذا افع ذلك بها قلت له انا احبك وتزوج بعقد بيني وبينك ولتقتي عندك خرج نادية من البيت انا احبك ولا استطيع ان اراك مع امرأة غيري لن اطلب منك أي شيء انا سوف اعطيك كل شيء . سكت ولم يجبني اخرجت ورقة وكتبت عليه ازوجك نفسي الى اخره واعطيتها الورقة وقلت له اكتب انت ايضا؟ وكتبتا العقد وكانت فرحتي كبيرة وعدنا الى البيت وانا انتظر يوما بعد يوم خروج نادية مع اهلها وبعد اسبوع طلبني محمد على النقال وقال سوف تذهب الى بيت عمته انتظرك اليوم. وبعد

البيت معاً وعند ذهاب نادية الى الغرفة قبلت محمد ووضعت يدي على يده وقلت له حمدا لله على السلامة كنت اتمنى ان يبادلني نفس المشاعر وهنا دخلت نادية وقالت ما هذا الصمت احمر وجهي من الخجل كنت خائفة ان تكون قد راقتي . ولكنها لم تشك يوما وطلبت ان اكون معهم في الليل للعشاء في بيت العائلة . ارتديت اجمل ما عندي من ملابس وذهبت وانا حريصة على ان ابدأ الانتقام جلست في مكان قريب منه وقدمت له الطعام بيدي مع نظرات تحمل في طياتها الحب والغزل وقلت له عيناك تحملان معاني كثيرة من كلمات تجعل الفتاة لا تقاوم امامها . قال محمد ما بك سها هل تنفزين يعني؟ احبته نعم . وهنا قالت نادية ماذا تتكلمان قلت لها عنك وعن الدراسة هل تذهبين غدا قالت انا متعبة من السفرو اريد ان ارتاح . هنا فرحت كثيرا وعدت الى البيت ويدات ارقص حتى تعبت ولم اتم كنت انتظر الصباح للذهاب مع محمد الى الجامعة . وفي الصباح جاء محمد بسيارته وجلست في المقعد الامامي وفي الطريق قلت له محمد لا اريد الذهاب اليوم قال لماذا قلت له محمد تتزوجني قال: سها ماذا حصل لك انا متزوج من نادية ولم يرض شهران على زواجنا قلت لن تعلم قال لماذا افع ذلك بها قلت له انا احبك وتزوج بعقد بيني وبينك ولتقتي عندك خرج نادية من البيت انا احبك ولا استطيع ان اراك مع امرأة غيري لن اطلب منك أي شيء انا سوف اعطيك كل شيء . سكت ولم يجبني اخرجت ورقة وكتبت عليه ازوجك نفسي الى اخره واعطيتها الورقة وقلت له اكتب انت ايضا؟ وكتبتا العقد وكانت فرحتي كبيرة وعدنا الى البيت وانا انتظر يوما بعد يوم خروج نادية مع اهلها وبعد اسبوع طلبني محمد على النقال وقال سوف تذهب الى بيت عمته انتظرك اليوم. وبعد

شركة مع بعض الاصدقاء . كنت اذهب معهم في تحضير التجهيزات وعند اختيار غرفة النوم طلبوا مني ان اقوم باختيارها لانهم مترددون في اختيارها لان الاثاث كله جميل . تم اختيار الغرفة قال محمد كم ذوقك جميل يا سها وكنت اتجول معهم واسمع غزلهما وهمسهما والخبرة جعلتني افقد صوابي طلبت العودة الى البيت .

بعد ان قلت اني متعبة والصداع اصابني عدنا الى البيت ودعتهما وعدت ابكي بشدة وقررت ان انتقم منهما الاثنين ولن اتركه كم تمنيت ان اكون معه بقية حياتي.

تزوجت نادية وكانت سعيدة وانا مرضت وسافرا خارج العراق لقضاء شهر العسل وكان شهر الم قضيتة انتظر ان يعودا وفي احد الايام سمعت صوت السيارة خرجت مسرعة للسلام عليهما ودخلنا

احبته كثيرا وتمتني ان اكون زوجته حتى لا افقد اغلى انسانة واقرّب صديقة منذ الطفولة كنا دوما معا ولكن القدر شاء ان يحطم مشاعري لتتحول من حب الى غيرة دمرت حياتي وحياة صديقتي.

احبته منذ المرحلة الاولى للدراسة الجامعية وكنا نحن الثلاثة لا نفترق وكانت صدمتي عندما طلب محمد ان اساعده لخطة نادية؟

وسالني هل هي تحبه ورجاني ان اقول له ان كانت مرتبطة أم لا فاجبته كلا فسالني ما سبب صمكت الطويل قلت له لا تأخذ في بالك . بعد ذلك تكلمت مع نادية بان محمد يريد الزواج منها وكانت نادية البنت الوحيدة لاهلها وعند زواجها يجب ان تسكن عندهم في بيت صغير بناه والدها وكان محمد لا يعرف بهذا الامر.. تمت الموافقة لانه شاب خلوق ومتمكن ماديا لديه